استلهام الحديث النبوي في الشعر العربي المعاصر

فاطمة شاكر أردكاني، طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة كاشان . إيران
علي نجفي إيوكي، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة كاشان . إيران
مريم جلائي، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة كاشان . إيران
maryamjalaei@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/15	تاريخ القبول:2020/01/14	تاريخ النشر: 2020/06/01

Abstract:

This research, through religious texts, seeks to focus on the revelation of the noble Nabatean narration that the contemporary poet explodes, and how it can be used and the ability to re-create new and creative content, which is inspired by the missing texts in a new dress. most important findings of this research are that most poets did not care about this great source of material worthy of the inspiration of poetry, and this is why they missed the sanctity of the Prophet's Hadith and its beauty in vocabulary, pictures, and meanings This article explores its descriptive, analytical, and critical approach to how contemporary Arab poets are inspired by the noble Nabawi discourse and tries to reveal the inspirations. These poets were inspired Including in several political axes, including Arab governments, encouraging people to revolution, highlighting the virtues of the martyrs and the like.

Keywords: inspiration, Hadith, religious texts, contemporary poetry

مُلخّص البحث

يتناول هذا البحث بمنهجه الوصفي التحليلي وبأسلوبه النقدي كيفية استلهام الشعراء العرب المعاصرين الأحاديث النبوية الشريفة ويحاول الكشف عن أشكال تلك الاستلهامات، ودراسة نصوصهم من هذا المنظور. أهم ما وصل إليه البحث الحالى من النتائج هو أن أكثر الشعراء المعنيين لم يهتموا بهذا المصدر السخى بالمادة الصالحة للاستلهام الشعري ولهذا فاتتهم

قداسة الأحاديث النبوية الشريفة وجمالها في المفردات والصور والمعاني. واستلهامهم يتراوح بين محاور أكثرها سياسى منها السخرية من حكام العرب، وتشجيع الناس على الثورة، وإبراز فضائل الشهداء وما أشبه ذلك.

الكلمات المفتاحية: الاستلهام، الحديث النبوى، الشعر المعاصر العربي.

1. المقدمة

إن التراث ذو مكانة رفيعة وقيّمة بالنسبة للشعوب التي تود أن تستغلّ تجاربها لبناء المستقبل أي تترك من ماضيه ما يخسره وتأخذ ما ينفعها من الزاد فعلى هذا يقال: أمّة بلا تراث هي شجرة بلا جذور وبلا أصول. والمصادر التراثيّة تنقسم عادةً إلى أربعة مصادر أساسيّة هي: المصدر التاريخيّ، والديني، والشعبى، والأدبي. لقد درس الباحثون التراث الدينيّ بكل روافده مثل الإسلام واليهوديّة والمسيحيّة وكتبهم المقدّسة (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل) والشخصيّات الدينيّة كالأنبياء آدم وموسى وعيسى(عليهم السلام) والرسول الأعظم محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) في بعض النصوص الشعريّة.

الحق أنّ المعطيات التراثيّة تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمّة ونوعاً من اللصوق بوجدانها لما للتراث من حضور حيّ ودائم في وجدان الأمّة، والشاعر حين يتوسّل للوصول إلى وجدان أمّته بطريق توظيفه لبعض مقوّمات تراثها يكون قد توسّل له بأقوى الوسائل تأثيراً عليه[1]. والواضح لنا أنّ معطيات الفكر الإنسانىّ هي مجموعة ميراث الناس جميعهم من العصور الماضية حتى العصر الراهن ويُحسَبُ تمثلُ الأديب الإنتاجات الفكرية دليلاً على أصالة شخصيته ورصانته.

هذا وإنّ الشاعر العربي أحس منذ بداية عصر النهضة بأنّه لن يستطيع أن يثبت وجوده ويحقق أصالته إلّا إذا وقف على أرض صلبة مِن صلته بالتراث وارتباطه بماضيه[2]؛ لأنّ الماضى يكون ينبوعاً للإبداع والابتكار والتعبير عن تجربة إنسانيّة. والنقد المعاصر يرى أنّ الموروث الدينىّ سقفٌ سامٍ لبلاغة النص وروعته ويجتهد الكاتب ليوظّفه في كتاباته لثرائه وغنائه. لذلك وإنّ توظيف النصوص الدينيّة فى الأدب يُعدّ مِن أنجع الوسائل وذلك لخاصّية ذهنيّة في هذه النصوص تلتقي وطبيعة الأدب نفسه؛ وهي إنّها ممّا يسعى الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره فذاكرة الإنسان تكاد لاتحرص فى كل العصور تحرص على الإمساك بنصّ إلّا إذا كان دينيّاً أو أدبيّاً[3]. والكتب السماويّة وشخصيّات الأنبياء وسيرة الرسول الكريم محمد (صل الله

عليه وآله وسلّم) وأحاديثه الشريفة من أهم المصادر الدينيّة. فقد أحسّ الشعراء مِن قديم بأنّ ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء فكل مِن النبيّ والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمّته والفارق بينهما أنّ رسالة النبيّ رسالة سماويّة وكلٌ منهما يتحمّل العنت والعذاب في سبيل رسالته ويعيش غريباً في قومه محارباً منهم أو في أحسن الأحوال غيرمفهوم منهم[4].

والحديث النبويّ من النصوص المقدّسة التي يستلهم منه الشاعر المعاصر ويجعلها في سياق نصه الشعريّ بهدف إضافة رؤية فكرية للموضوع الذي يريده ممّا يزيد النص ثراء وقوّة وترابطاً ويعزز الفكرة التي يطرحها ضمن سياق قصائده ومعتقداته وميولاته الفكريّة والفنيّة[5]؛ فالشاعر العربي المعاصر جعل استلهام الحديث النبويّ كأداة أسلوبيّة خدمت غرضه الشعريّ مثل ما يتعرّض لبعض البلدان العربيّة كالاحتلال وفقدان الوحدة والحكام الطغاة والصراع بين الخير والشرّ؛ فإنّه لايقتنع بالإحالة إلى الأحاديث النبويّة الشريفة بل يستنزلها في أشعاره ويستمد منها في المفردات والصور والمعاني. وعلى هذا فقد اكتسب شعره لغة شعريّة خاصّة بها ويُعدّ دعماً لتجربته الشعريّة؛ حيث جاءت نصوصه الشعرية جديرة بالدراسة والتحقيق من هذا المنظور.

على ضوء أهميّة المسألة ودورها المحوري في فهم النصوص الشعرية المعاصرة تعمد هذه المقالة بمنهجها الوصفي . التحليليّ إلى تناول أشعار الشعراء المحدثين من روّاد مدرسة الشعر الجديد وهم: صلاح عبدالصبور، وأحمدعبدالمعطي حجازى، وأحمد مطر، وخليل حاوي، وممدوح عدوان ووليد الصراف ويهدف إلى الوقوف على استلهام الشاعر الحديث النبويّ أي دراسة النماذج والقصائد التي يستلهمها الشاعر من الأحاديث النبويّة الشريفة موضوعيّاً أو دلاليّاً أو تركيبيّاً ومدى تأثيرها في القارئ وبيان القيمة الجماليّة والفنّية للاستلهام النبويّ في أشعارهم.

وأمّا أهم الأسئلة التي نحن بصدد الإجابة عنها؛ هي: ما هي مظاهر استلهام الحديث النبويّ الشريف في شعر الشاعر العربي المعاصر؟ ما أهم الموضوعات التي يستوحاها الشاعر من الحديث الشريف؟ ما هي كيفيّة تعامل الشاعر مع هذا التراث؟ وترجع ضرورة هذا البحث وأهميته إلى أنّه يلتفت انتباه المتلقّي بالمضامين العالية التي تجعل لغة الشعر أوقع في النفوس ويشجّعها للرغبة في العمل دون أيّة حاجة إلى تعب الفكر. فعلى هذا تميد بالمتلقّين الأرض من خلال فحوى الأحاديث النبويّة تذكير مكانة الحضارة الإسلاميّة السامية وإحيائها. مضافاً إلى هذا يمنح قراءة جديدة للنصوص الشعريّة وتظهر جماليّتها الفنّيّة الخفيّة للقارئ.

2. خلفيّة البحث

لم نطلع على دراسات ذات صلة وثيقة بالموضوع المدروس هنا، لكن قد أجريت دراسات عن التراث الدينيّ ووظيفته في الشر المعاصر العربيّ وهناك العديد من البحوث والإصدارات التي تتحدث عن موضوعين مما لهما صلة بالاستلهام النبوي وهما: استدعاء الشخصيات الدينيّة والتناص الديني. نذكر أهمها فيمايأتي:

«أشكال التناص الدينيّ في شعرخليل حاوي» لعلي نجفي ايوكي وفاطمة يگانه (1390 هـ ش) حيث قام الباحثان بدراسة ظاهرة التناص الدينيّ في أشعار خليل حاوي، ودراسة معنونة بـ"التّراث الدّيني في شعر سميح القاسم الشاعر المقاوم الفلسطيني" لمحمد خاقاني الأصفهاني ومريم جلائي(1390 هـ ش) توقّفت عند الدلالات الدينيّة في شعر سميح القاسم، وتناولت قدرة الشاعر ومدى نجاحه في التّفاعل مع التّراث الدّيني، ووصلت إلى أن لاستخدام الشاعر التراثَ الديني أبعاد سياسية ونفسية، وأنه يعتبر من أبرز الأسس الفنية في شعره، كما نمّت عن براعته الشعرية مؤكدةً على التأثير الإيجابي لتوظيف التّراث في خدمة النص الأدبي وإخصابه.

وبحث تحت عنوان «كاركرد نمادين شخصيت پيامبر اسلام صلى الله عليه وآله در شعر معاصر عربى[6]» لأكرم رخشنده نيا وزملاءها(1390 هـ.ش) حيث قام بدراسة كيفيّة استدعاء شخصيّة النبيّ فى أشعار بعض الشعراء. «التناص الديني في أشعار عبدالمعطي حجازي» لطيّبة سيفي وكبرى خسروي (1392 هـ ش) وقد نوقش في محتوياتها التناص الدينيّ عبر الأشخاص االدينيّة.

«استدعاء الشخصيّات النبويّة وتطوّرها الدلاليّ في الشعر المعاصر الفلسطينيّ المقاوم المعاصر» لمحمدحسن أمرايي (1395ش)، كتب الدارس في هذه المقالة عن ظاهرة الشخصيّات التراثيّة وتأثيرها في أشعار محمود درويش.

«التناص الديني في شعر محمد القيسى وخليل حاوي» للباحث محمد تيسير الزيادات (2014م) حيث قام بدراسة نقديّة تحليلية تناول فيها جوانب مِن حياة الشاعرَين وتطرّق إلى قضيّة التناص الديني في شعرهما. وما أشبه ذلك من البحوث المتناثرة في الكتب والمجلات المنشورة في المواقع الإلكترونِيّة. وحسب بحثنا في الدراسات السابقة يلاحظ أنّ موضوع استلهام الحديث النبوي لم يكن محور أية من الدراسات المسبقة، وهذا خير دليل على أهمية الموضوع وإبداعه.

3. معطيات البحث

النظرة الكلية إلى النصوص الشعرية المعاصرة تدعونا بالاعتقاد أنّ الشعراء العرب المعاصرين قاموا باستلهام الحديث النبوي لتجسيد المضامين السياسية والأخلاقية والحكمية وغير ذلك؛ والتراوح بين هذه المضامين يجعلنا نقوم بانتقاء النماذج الشعرية على أساس المضمون اعتقاداً بأنّ الاستلهام يعيد صيغة الماضى وفق رؤية معاصرة ويعطي النص قداسة مع صورة وثيقة بصيغة أدبيّة ويملأ النص بجوانب إنسانيّة وقيم أخلاقيّة متعاليّة، ولا يمكن استيعاب النصوص وتأويلها إلّا من خلال النص الغائب.

سنقوم فيما يلي بمقارنة أهم الموضوعات التي تجلى فيها استلهام الأحاديث النبوية عند الشعراء موضوع الدراسة وهي الموضوعات السياسية، والموضوعات الأخلاقية، والموضوعات الحكمية.

3. 1 الموضوعات السياسية

3. 1. 1 فضيلة الشهيد

استلهم الشاعر السوري المعاصر ممدوح عدوان (1941- 2004) في شعره الحديث النبوي الشريف محاولاً في إحدى مقطوعاته أن ينسجم مع الحديث الذي يبرز فضائل الشهداء «والذي نفس محمد بيده لوددتُ أني اغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل...[7]» فنراه مستلهماً قائلاً:

كان صمت العالم المرتاح/ يسترخى أمام مشاهد التلفاز/ كانت بينها صورى مكررةً/ أقاتل، ثمّ أقتل، ثم أنهض، ثمّ أركض، ثمّ أرحل، ثمّ أقتل[8]

انطلاقاً من النص الشعري نرى أنّ الشاعر يستحضر الحديث الشريف مع حذف جزء منه وباختلاف دلاليّ، ففي قول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) كان يتمنى أن يغزو فيقتل ثمّ يغزو فيقتل ثلاث مرات ولم يتحقق له ذلك، أما عدوان فإنّه قدّم صورة من تحققت له تلك واذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله و سلّم) يسعى لذلك سعيداً بها لو تحققت فإنّ عدوان يكشف فيها بؤس الأمّة وواقعها حين لا يجد المقتول بدّاً من أن ينهض لوقوع المسؤولية عليه وحده ويبرز الاختلاف بين النصين حين ما كرّر الرسول الكريم النص متوالياً فى حينٍ يكشف

عدوان أنّ المهزوم يقتل مرة بعد مرة فلايكفّ الأعداء عن مطاردته ونفيه ومتابعته في منفاه وقتله (ارحل ثم أُقتل)[9]

2.1.3 الحرية

يعدّ الشاعر المصري المعاصر أحمد عبد المعطى حجازى (1935-) من الشعراء الذين لهم اتصال وثيق بالتراث. فأدرك حجازي أهمية الدين كمصدر غنيّ وثريّ في تشكيل الوجدان الإنساني فحرص على تضمين أشعاره نصوصاً دينية عديدة[10] ونجده يستحضر الحديث الشريف ليورد مقطوعات تتوافق مع رؤيته، ففي قصيدته "دفاع عن الكلمة" تظهر الكلمة كوسيلة التعبير عن القلق والاضطراب. فالكلمة عنده "صلة صادقة بالناس؛ إنّها خالية تماماً من ثياب الاستعباد الذي لبسته في مراحل تاريخها الطويل[11]" والشاعر يقول مستلهماً الحديث:

فالكلمة بحر يركب سبعين مساء/حتى يلد اللؤلؤ/ أنا في الصف التائب/ مهما كان الذنب عظيما/ فطريق الكلمة محفوف بالشهوات/ والقابض في هذا العصر على كلمته/ كالممسك بالجمرة[12]

إنّ مثل هذا النص الشعري الذي بين أيدينا يشهد على أنّ حجازي يؤمن بأنّ الكلمة عاشت أسيرة في ظلّ الاستبداد والقيود؛ فالكلمة عنده متحرّرةً حرّةً طليقةً وسيلة تطهير لنفسه ممّا يسكنها من ضيق وقلق واضطراب، وهي وسيلة لعلاقته بالناس الذين يحبّهم ويرتبط بهم[13]. إنّ شخصيّة أحمد عبدالمعطي حجازي ليست شخصيّة سلبيّة أو متشائمة إنّما هي زخم من المبادئ والمواقف والأمنيّات وتظهر هذه الشخصيّة المميّزة القوية في قصائد كثيرة كهذه التى اتخذ فيها الفن والكلمة وسيلة لشحذ الهمم وتحفيز الذات على قهر القلق والإضراب والخنوع؛ فالكلمة عند الحجازي كيان له قيمته ووظيفته المقدسة في الخلاص من الذل والتبعيّة، ويؤمن بأنّ الكلمة لها وظيفة إنسانيّة خالصة فهي رسالة سامية تظهر ما فى النفوس من اضطراب وضيق وتضيء السبل لكشف طريق السعادة والحياة[14].

فالشاعر هنا يستلهم الحديثين الشريفين أولهما قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): " إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ[15]"

" وثانيهما قوله (صلى الله عليه و آله وسلم):" يا ابن مسعود يأتي على الناس زمان الصابر على دينه مثل القابض على الجمرة بكفه[16]": فحجازي يستوحى من الحديثين في مستوى المعنى والتراكيب والمفردات (محفوف بالشهوات، القابض على، الجمر) ولكن يعطيه دلالة جديدة؛ لأنّ

في المقطع الأول يشبّه الكلمة بالنار وهذا تأكيد التماثل الموجود بين قدسيّة الدين وقدسيّة الكلمة ومايصاب الإثنين من الشهوات!! وفي المقطع الثاني يُشبّه من يحب الصلة بالناس بالشخص الذي يمسك النار بقبضتيه.

والشاعر المصري صلاح عبد الصبور(1931-1981) في المقطع الثالث من قصيدته «أقول لكم» قال: رووا يا صحبتي الأحرار فيما حدثوا من قال/ بأن الطفل يولد مثل نسم الريح/ وحين يدبّ فوق الأرض تثقل ساقه الأغلال/ يقيّده إلى الدنيا تراب سمة/ الأجداد[17].

والنص الشعري مستلهم الحديث الشريف: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه[18]. والطريف أنّ صلاح يرى أنّ الإنسان يولد على فطرة حرّة ولكن الأجداد والآباء يكبلونه بالأغلال في أرض يسمونها الوطن فيصبح رغماً عنه أسيراً لهذا التراب. والشاعر يريد أن يولد الإنسان حراً في العالم وتترك له حرّية الحركة فوق الأرض كيفما شاء ويصبح العالم كله وطناً له وهذا كما نرى دعوة إلى العالميّة وليس إلى الإقليميّة[19]. فالشاعر قام بنقل مضمون الحديث إلى مجال آخر؛حيث يدل الحديث على تحديد ديانة الطفل بسبب والديه بينما يعتقد الشاعر بتقييد الطفل بأغلال الوطن من قِبَل والديه. على أية حال استفاد الشاعر في تجسيم مفهوم الحرية والاختيار أو عدمها من الحديث النبوي وقرأ قراءة جديدة من النص الديني.

3.1.3 ظلم الحكام

تكثر في النصوص الشعرية للشاعر العراقي المعاصر أحمد مطر (1954-) الإحالات إلى الخطاب الديني والتفاعل معه من خلال توظيف بعض الأقوال المأثورة للرسول (صلى الله عليه وآله) في أثناء أشعاره وذلك لارتباط الشاعر العميق بروح الدين الإسلامي؛ والشاعر على النقيض من أكثر الشعراء العرب المعاصرين يميل إلى حذف جزء من الحديث النبوي وإعطائه دلالة جديدة كما تشهد الأمثلة التالية:

ففي معرض حديثه عن المسؤولية التاريخية للحكام عن ضياع الحقوق الإسلامية والتفريط فيها وظف الشاعر الحديث الشريف " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع و هو مسئول عن رعيته...[20]" والشاعر في استدعائه الحديث النبويّ يريد إلقاء الضوء على حال الأمّة وما تعانيه من ضعف وهوان، فنراه قائلاً في قصيدته المعنونة بـ«القضيّة»:

زعموا أن لنا/ عرضا، وأرضا وحمية/ وسيوفا لا تباريها المنية/ زعموا. ../ فالأرض زالت/ ودماء العرض سالت/ وولاة الأمر لا أمر لهم/ خارج نصّ المسرحيه/ مسئول كلّهم وراع/ عن التفريط في حقّ الرعية!/ وعن الإرهاب والكبت/ وتقطيع أيادى الناس/ من أجل القضية[21]

فالذي يبدو أنّ الشاعر قد امتصّ الحديث النبوي لتجسيد الأغراض السياسية لكنّ مع المفارقة الخفية؛ حيث إن الحديث جاء ليحذر وينبّه قبل الوقوع والسقوط وذلك من أجل الحيطة؛ في حين استلهم الشاعر هذا المعنى لا ليحذر وينبه وإنّما لإقرار التهمة، ذلك أن التفريط وقع وانتهى.

4.1.3 سخرية الحكام

بما أن الشاعر أحمد مطر وثيق الصلة بالقضايا الدينية والاجتماعية والسياسية فإنه في قصيدته «أرجوزة الأوباش» يستلهم الحديث الشريف: " وَ قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) إِنَّ الْمَجُوسَ جَزُّوا لِحَاهُمْ وَ وَفَّرُوا شَوَارِبَهُمْ وَ إِنَّا نَحْنُ نَجُزُّ الشَّوَارِبَ وَ نُعْفِي اللِّحَى وَ هِيَ الْفِطْرَة "[22] فيقول الشاعر:

قادتنا أنصاب/ أشرفهم نصاب/ في حربهم نصاب/ وواجب الواعظ قول الواجب/ ترمى لنا في الباب/ مواعظ الأرباب/ قل يا أولي الألباب/ قصوا من الجلباب/ واعفوا اللحى. .. وقصروا الشوارب[23]

وهنا يستغل الشاعر هذا المعنى بحذف جزء من الحديث الشريف ويعطيه دلالة جديدة؛ لأنّ الشاعر يوظفه في موضع سخرية الحكام فهم لا يحملون من هذا الدين إلا شكله ورسمه وفي جوهرهم قادة ذل وخسارة وهزائم والأمة دائماً تصاب بهم.

ويؤكد هذا المعنى في قصيدته "أسباب النزول" فالشريعة الغراء لم تكن من أجل إطلاق اللحى وحف الشارب ولا من أجل الدشداشة القصيرة ولا السواك فقط وإنما كانت لتزلزل عروش الطغاة فهي حرب عليهم، كما كانت حرباً على فرعون وهامان وجنودهما[24] والشاعر ينفجر على الأوضاع السياسية والاجتماعية التي وئدت فيها كل الحريات:

فإذا كان/ فرعون حبيب الرحمن/ والجنة في يد هامان/ والإيمان من الشيطان/ فلماذا نزل القرآن؟/ ألكي يهدينا مسواكا/ نمحو فيه من الأذهان/ بدعة معجون الأسنان؟/ أم ليفصل (دشداشات)/تشبه أنصاف القمصان؟/ ألذلك قد أنزل ؟ كلا ...[25]

إنّ ما يمكن أن نستشفه من المقطع السابق هو أنّ مطر يستلهم ممّا نقل عن رسول الله حول المسواك: "كان إذا قام للتَّهَجُّد يَشُوصُ فَاهُ بالسِّوَاك[26]" لكن المفارقة هنا أن الشاعر استخدم ذلك في موضع السخرية من الحكام الذين أرادوا من هذا الدين مسواكاً ودشداشةً ولحياً؛ أي تركوا الأصول وتمسكوا بالفروع؛ حيث يتعارض هذا الأسلوب مع جوهر الإسلام ورسالته.

5.1.3 قضاء الله

حار عقل الشاعر أحمد مطر في أمر الله ولايستطيع فيه تصنيف الحاكم تحت أي اسم أو مسمى، ويسأل ويكرّر سؤاله دون جدوى من الإجابة. فربما يكون الحاكم جنيا أو بعرة شاة أو شيخ أنابيب ويعترف أخيراً بأنّه لغز فهو قدر من أنّه يفعل الله ما يشاء ولارادّ لقضائه[27] وفي موضع آخر نراه قائلاً:

إنه لغز عجيب/ ليس عندي أي حل/ يفعل الرحمن ما شاء/ وما شاء فعل/ ضعه في جيبك/ أو يفتح الله علينا/ أو يوافيه الأجل[28]

الشاعر يستند هنا إلى الحديث ليعطي شعره دلالات تتوافق ورؤاه. فقد استلهم الشاعر دلالة الحديث الشريف: "المُؤمِنُ القَويُ خَيرٌ وأحَبُّ إلَى اللَّهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَعيفِ، وفي كُلٍّ خَيرٌ، احرِص عَلى ما يَنفَعُكَ، وَاستَعِن بِاللَّهِ ولا تَعجَز، وإن أصابَكَ شَيءٌ فلا تَقُل: لَو أنّي فَعَلتُ كذا كانَ كَذا وكَذا، ولكِن قُل: قَدَرُ اللَّهِ وما شاءَ فَعَلَ، فَإنَّ «لَو» تَفتَحُ عَمَلَ الشيطان[29]"

إنّ الذي يهمّنا من المقطوعة السابقة هو أنّ الشاعر يستند هنا إلى الحديث مع حذف جزئي وتغيير طفيفٍ لا يمس جوهره بسوء بسبب من نظرة التقديس والاحترام للنص المستلهَم.

6.1.3 الثورة والنشور

أعلن الشاعر أحمد مطر في قصيدة "كيف تتعلم النضال" ضرورة التغيير موكداً على أن الثورة على الأنظمة هي السبيل الأقصر للتخلص من وباء الحكام؛ فالشتم طوال الدهر لن يجدي ولا بدّ من إشعال عود ثقاب في عروش تلك الأنظمة وعلى الشعب أن يغسل الظلم الذي مارسته الحكومة بحقه وأن يصوم عن الاستماع لإذاعة النظام فهي إذاعة مسممة مشككة للشعب مخدرة، موظفاً الحديث النبوي الشريف " أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ أَلَا وَ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ[30]" فهذه هي بداية التغيير[31] حيث نقرأ منه:

تريد أن تمارس النضال/ تعال/ كل كثير مسكر.... قليله حرام/ فأعلن الصيام عن إذاعة النظام/ وأعلن الصيام عن صحافة النظام/ وأعلن التوبة ألف مرة/ عن خطب الحكام/ واستغفر الله عن عمر مضى/ صدّقت فيه مرة وسائل الإعلام[32]

فالشاعر هنا استفاد من الحديث الشريف ودلالته بعد التفاعل معه من خلال إقامة علاقة جدلية ثم الانتقال بدلالة هذا الخطاب إلى حيز معنوي آخر وأعلن بحرمة الاستماع القاطعة! ويوظف الحديث خدمة لنصه الشعري باختلاف؛ لأننا نرى السكر في الشعر يتجسد بحركة الاستماع إلى كل ما يتصل بالنظام الرسمي ولكن في الحديث السكر يتحقق بالمسكر ولكن الضرر واقع في الحالتين سواء كان في السكر أو في الاستماع[33].

في هذه الأبيات المرتبطة بقصيدة "سلاح بارد" يعلن أحمد مطر بأنه قد وصل زمان النهضة ويحتم إعلان الثورة على الظالمين والناس‌جميعهم مطالبون بذلك فلايمكنهم السكوت عن المنكر ويجب عليهم القيام. ويستوحي مفهوم الحديث: "مَن رَأى منكم مُنكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإن لَم يَستَطِعْ فبِلِسانِهِ، فإن لَم يَستَطِعْ فبِقَلبِهِ وذلكَ أضعَفُ الإيمان[34]" والشاعر يستوحيه ويضمنه في شعره ويضفي بذلک على شعره دقة فنية ولغوية تزيده وضوحاً وقيمة أدبية قائلاً:

آن النشور الآن/ بأغلظ الأيمان واجه أغلظ المآسي/ بقبضتيك حطم الكراسي/ أما إذا لم تستطع/ فجرد اللسان/قل: يسقط السلطان/ أما إذا لم تستطع/ فلا تدع قلبك في مكانه/ لأنه مدان/ فدقّة القلب سلاح بارد/ يتركه الشجاع بعد موته/ تحت يد الجبان/ لكي يدارى ضعفه/ بأضعف الإيمان[35]

فالجدير بالذكر أنّ هذه القصيدة تبين التفات الشاعر واهتمامه بقضايا وطنه وإمكان تغيير الأوضاع السياسية؛ فالشاعر يشجع الشعب بالثورة على السلطان ويقول إن كل شخص يستطيع أن يساهم في إسقاط الحاكم بالمظاهرة أو باللسان أو تنافره القلبي؛ فالحديث بمعانيه وكلماته يتشابك بالقصيدة والكلمات(كقبضتيك، لم تستطع، اللسان، قلبك، أضعف الإيمان) فوظّف الشاعر مفهوم الحديث الشريف توظيفاً موازياً.

والشاعر العراقي المعاصر وليد الصراف (1964-) يذمّ اتباع الغرب دون أي تأمل وتفكر ويحذر من التبعية العمياء في قصيدة "تحقيق لمعلقة عمروبن كلثوم" قائلاً:

أنا الراحلون لحيث شاءت لنا أعدائنا لاحيث شينا[36]

يتحدث الشاعر عن العرب كأنهم العميان الذين يعملون دون تعقل ويتبعون الغرب وهذا تلميح إلى قوله "لا تَكونوا إمَّعَةً، تَقولونَ: إن أحسَنَ النّاسُ أحسَنّا، و إن ظَلَموا ظَلَمنا! ولكِن وَطِّنوا أنفُسَكُم إن أحسَنَ النّاسُ أن تُحسِنوا، و إن أساؤوا فلا تَظلِموا" منع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس من الاتباع العشوائي والشاعر أيضاً استخدم هذا المعنى في نصه الشعري ومنح للتراث الديني بعداً سياسياً.

3.1.7 كراهية التجسّس

وصل الشاعر أحمد مطر إلى أن الشعوب تصير في نهاية الأمر عيون الحكام يرصد بعضهم بعضاً فلا يسلم الجار من جاره ويلقي القبض عليه. لذلك نراه منشداً بأسلوبه الدرامي:

لي جار مخبر/ في قلبه تجري دماء وشراك/ ذات يوم قال إن الظلم كفر/ قلت حقا هو ذاك/ حتى وضع القيد بكفي/ ومضى بي نحو حتفي.../ قلت لكن أنت جاري/ قال لي احفظ وقارك/ لاتعلّمني بديني/ فرسول الله وصى/ قال (جارك، ثم جارك، ثم جارك).../ قلت لكن رسول الله وصى بعدنا (ثم أخاك)/ قال خالفت رسول الله في العدّ/ فسلّمت أخي مِن قبل أن تبرح دارك!![37]

مفهوم النص الشعري يذكرنا بحديث الرسول صلى الله عليه وآله و سلم حيث قال فيمن له شرب فيستغنى عنه: «لَا تَبِعْهُ وَلَكِنْ أَعِرْهُ أَخَاكَ أَوْ جَارَكَ[38]» فوظف حديث الرسول دون حذف في العبارة، ولكن المفهوم وُظّف توظيفاً عكسياً؛ لأن الرسول شجع الجيران على الاهتمام ورعاية حقوق بعضهم بعضاً ولكن الشاعر يصف صورة يتجسس الناس في أمور جيرانهم وإخوانهم لصالح الحكومة ويقومون بالخيانة.

3.1.8 معاناة الأمة العربية

الحق أن التراث الديني ذو مكانة مرموقة في شعر خليل حاوي (1919-1982) الشاعر اللبناني المعاصر ويشكّل مكوّناً أصلياً وخفيّاً لقصائده، فالاستفادة من إمكانات هذا التراث أتاحت للشاعر أن ينوّع في أساليبه بالابتعاد عن الغنائيّة والخطابيّة ومنحت لغته الشعرية بعداً جماليّاً. هذا وإنّه استلهم الحديث النبوي فى قصيدة "رسالة الغفران من صالح إلى ثمود" مرّتين عندما أراد أن يجسّد معاناة الأمة العربية فنراه قائلاً:

السيف أشرق والتهب/ وأضاء في عينيه/ ينبوع المحبة والغضب/ بطل يخلي النيرين/ لمن وهب[39]

تبارك المعصومُ/ في لين المحبة والغضب/ بطلاً يخلي النيرين/ لمن وهب[40]

الحق أن تأثير هزيمة الأمّة العربيّة في حروبها مع الصهاينة الغاصبين للبلاد العربية . ما يسمى بحرب حزيران سنة 1967 . واضح تمام الوضوح في شعر هذا الشاعر الملتزم؛ لذلك جعل الإنسانَ العربي المهزوم محوراً في القصيدة. ومن ميزات هذه القصيدة صهرها الواقع والتراث في بنية فنيّة محدثة ضمّت عدة مستويات ويعبّر عن معاناة الشاعر العميقة لواقع الأمّة العربيّة وأزمتها الحضاريّة. قد عاد حاوي في النص الشعري إلى التراث وخلقه من جديد وأسبغ عليه ما أراد له من دلالات جديدة.

هذا وإنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) رمز للإنسان البطل الذى يعيش صراعاً بين الضعف والقوة وبين التراجع والإقدام وبين إغراءات الخيانة وسبيل الاستقامة؛ وهو بطل عفيف مخلص أبدع حضارة نضرة. ويعتقد الشاعر أنّ اكتساب الإنسان العربى المعاصر تلك الخصائل النبيلة شرط لاستعادة المجد وإبداع النهضة العربيّة المنشودة. واللافت للنظر أنّ هذا البطل، نموذج النبى البطل المغترب[41]. إن سيدنا (صلى الله عليه وأله وسلم) في الحديث بطل لا يتقاعد عن دعوته ولو منحوه الشمس والقمر، بينما البطل في القصيدة هو إنسان عربي يتراوح بين التخلف والتقدم. فهنا نرى أن الشاعر يستلهم الكلام النبوي استلهاماً موافقاً في رد قول الكفار حينما قالوا لأبي طالب: إنّ ابنَ أخيكَ قد سَفّهَ أحلامَنا، وسَبَّ آلِهَتَنا وأفسَدَ شَبابَنا، وفَرَّقَ جَماعَتَنا، فإن كانَ الّذي يَحمِلُهُ على ذلكَ العُدمُ جَمَعْنا لَهُ مالًا حتّى يكونَ أغنى رجُلٍ في قُرَيشٍ ونُمَلِّكَهُ علَينا فَأَخْبَرَ أَبُو طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ (صلىالله‌عليه وآله) بِذَلك فَقَالَ النبى(صلى الله عليه وآله)" لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي- وَ الْقَمَرَ فِي يَسَارِي مَا أَرَدْتُه[42]".

قد عالج الشعراء الكثيرون موضوع معاناة الأمة العربية منهم الشاعر العراقي المعاصر وليد الصراف وهو ذو صلة وثيقة بالتراث حيث جعله مكوناً رئيساً لشعره؛ فالشاعر يقرأ ويحفظ الأحداث التاريخية والقصائد القديمة ويدعها تؤثر فيه وفي شعره وقدوظّفها من أجل أن يوصل فكرة يقصدها ولكن هذا الاستلهام لم يكن اعتباطياً وإنما نابعٌ من إعجاب الصرّاف بهذا التراث ومن أجل أن يحقق مهمته الجديده التي يرومها[43]. والشاعر قد تلقى الموروث الإسلامي خاصّة السنة النبويّة والحديث الشريف فاستخدم مفرداته وتراكيبه وصياغته واستعار معانيه وبذلك تعطي شعره قداسة. على سبيل المثال نقرأ منه في قصيدة "مات العراق":

ولا نعاة يُذيعون الوفاة ولا نوائح أبّنتها أو تؤبّنها

سوى رياح تجزّ الآن من جزع شعر نخيل وديجور يكفنها

لو مات منّا امرؤ في الأرض ندفنه لو ماتت الأرض قل لي: أين ندفنها؟![44]

والنظرة الفاحصة والوقوف المتأني للفقرة الشعرية السابقة تؤكد على أن الشاعر متأثر هنا من الحديث النبوي في نصه (صلى الله عليه وآله وسلم)" وَ لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ وَقْعَةِ أُحُدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ سَمِعَ مِنْ كُلِّ دَارٍ قُتِلَ مِنْ أَهْلِهَا قَتِيلٌ نَوْحاً وَ بُكَاءً وَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ دَارِ حَمْزَةَ عَمِّهِ فَقَالَ ص لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَه...[45]" من المستنبط أنّ نص الشاعر في قوله "ولا/نوائح أبْنتها أو تؤبّنها" يتناصّ مع مفهوم الحديث بشكل موافق ويعبّر عن حزنه على أحوال العراق المتفجعة التي لايساهمها في أحزانه البلدان العربيّة الأخرى كحال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان فريداً في عزاء عمه ولايشاركه أحد.

في مكان آخر وأثناء قصيدة "تحقيق لمعلّقة عمروبن كلثوم" يشرح الصراف أوضاع الأمة العربية المؤلمة قائلاً:

تركنا الروم أحرارا طلاقا وعدنا بالشعوب مصفّدينا

نقيم الجور بعد العدل شرعا وأرض الله نملؤها سجونا

بحكام يرون الظلم مجداً وقوم بالهوان مجرّبينا[46]

إن الشاعر في هذه الأبيات بعد أن مال إلى النوستالجيا السياسية أخذ يتحدث عن الواقع المرّ الذي يمضي على البلاد العربية التي كانت متقدمة الصفوف ومتفاخرة بالمجد والبطوليّة ماضياً ولكن في العصر الراهن صارت مذلّة ومستكينة، يحاربون معاً ويصادقون أعداءهم. يستلهم الشاعر فترة من تاريخ الدعوة الإسلاميّة عندما عاد العرب بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى التنازع من جديد وعلى هذا يحذّر الشاعر من الردة الحمقاء التي تشتت الأمة ومن عود العرب إلى الخلافات والتفرقة. وهذا المعنى منبعث من حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْض...[47]»

3.1.9 المستقبل العربي

الحديث عن المستقبل العربي من الموضوعات التي تناولها الشعراء المعاصرون كثيراً، والشاعر الصراف أحد الشعراء الذين ركزوا على مستقبل الأمة العربية في قصيدة "همسات" قائلاً:

عن الديوك قد عاينتها عيون/ راصدات مكانه شمس الفجر[48]

الصراف في هذا البيت ينتظر لحظة الفجر مع الديكة؛ اللحظة التي تُظهر بريق الأمل للمستقبل العربي المشرق، فهنا يستلهم الحديث النبوي: "إِذَا سَمِعْتُمْ أَصْوَاتَ الدِّيَكَةِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَ ارْغَبُوا إِلَيْه...[49]" والتوضيح أنّ في لحظة شروق الشمس يصيح الديك وهذا مؤشر إلى طلوع الفجر والضياء. فالشاعر يستخدم معنى الحديث بشكل متوافق مع الحديث.

3. 1. 10 تقلب الزمان والأمة المستعبدة

الصراف في قصيدة عنوانها "ترجّل" يقول:

ترجّل أيّها الرجل العنيد فقد لاح الضحى ودنا البعيد

غفوتُ على ركابك وهو سارٍ فأقبل نحوك الرأس البعيد

أراك بجنّة حواء ترنو إليك وقلبها صب عميد

وأنت وليس آدم أنت إلفى ومنك سيبدأ الزمن الجديد

ترجّل أيها الرجل العنيد فقد شمخت على الليث القرود[50]

والنص الشعري يشهد على أنّ الشاعر في هذه الأبيات يخاطب نفسه مستخدماً ضمير الأنا؛ هذا الضمير يكون جمعيّاً ويجسّد كل المظلومين من شعب العراق وأمّته المستعبدة بعد تاريخه المليء بالمجد ويعتقد بأنّه في هذا الدهر لايحتاج إلى أن يركب فرساً للحرب؛ لأنّ الأمور قد تقلّبت وركبت القرود على الأسود فهذا زمان الرويبضة. كما قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم):«سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة ، قالوا: يا رسول الله وما الرويبضة؟ قال الرجل التافه يتكلم في أمر الخاصة[51]» إن الصراف في هذه الأبيات يعبر عن عواطفه الصادقة

ويقول إنه ذاق مرارة الزمان الذي تغير صفاؤه كدرة وصدقه كذباً وهو لا يطيق تحمّل هذا الواقع المرّ[52]؛ فالصراف وظف تقنية التناص؛ لأنه استخدم معنى الحديث الشريف في شعره.

3. 2 الموضوعات الأخلاقيّة

3. 2. 1 مذمة النفاق

أعلن أحمد مطر أنه لايؤمن بالنقاق ولا اعتقاد له به ويرفضه كل الرفض؛ وهو في قصيدة "لن أنافق" يذكرنا معنى الحديث المأثور عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما كان يحدثه عمه أبوطالب من أجل التخلي عن دعوته الإسلامية خوفاً عليه من الأعداء:" وَ اللّهِ لَو وَضَعُوا الشَّمسَ في يَميني وَ القَمَرَ في يَساري عَلى أن أترُكَ هذَا الأَمرَ حَتّى يُظهِرَهُ اللّهُ أو أهلِكَ فيهِ، ما تَرَكتُهُ[53]". يستوحي الشاعر هذا الحديث الشريف ويقول :

نافق/ ونافق/ ثم نافق، ثم نافق/ لا يسلم الجسد النحيل من الأذى/ إن لم تنافق/ نافق/ فماذا في النفاق/ إذا كذبت وأنت صادق؟/ هذي مقالة خائف،/ متعلق، متسلق/ ومقالتي: أنا لن أنافق/ حتى لو وضعوا بكفيّ / المشارق والمغارب[54]

كما يبدو من النص الشعري يتناصّ الشاعر مع الحديث الشريف ويستلهمه ويتجه في توظيف النص الديني اتجاهاً اخلاقياً؛ فالعلاقة بين النص الديني والنص الشعري تعتمد على التوافق والإثبات لا التخالف والنفي؛ لأنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لن يتخلى عن موفقه ولو بوضع المشارق والمغارب بكفيه والشاعر لن ينافق ولوبوضع المشارق والمغارب بكفيه.

3. 2. 2 مناجاة الله

الشاعر وليد الصراف في بيت من قصيدته المعنونة بـ "شباك" يناجى الله تعالى ويسأله أن ينجيه من ضيق الدنيا قائلاً:

غدي ويومي سجن مطبق أبدا فافتح من الأمس لي في السجن شباكا[55]

يبدو أنّ هذا النص منبعث من مفهوم الحديث: " الدنيا سجنُ المُومن وجَنةُ الكافر[56]" فالغرض الذي يرمي إليه الشاعر من خلال هذا الاستلهام هو التوسل إلى الله تعالى حتى يتخلص من الظروف الصعبة التي يعانيها.

3.2.3 الزهد

استلهم الصراف في قصيدة "دجلة" مفهوم الحديث النبوي:" كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُور[57]" قائلاً:

مالي وللناس في الدنيا مفارقة هم لهم دينهم فيها ولي ديني

قالوا: الشياطين ما انفكت تراوده بلى ولمّا تزل بالإفك تغريني[58]

اللافت للنظر في البيت الأول هو اتجاه الشاعر نحو الزهد في الدنيا وعدم اشتياقه إليها تاركاً إياها لمحبيها؛ فالصراف أخذ يستوحي من الحديث الشريف معنىً لذلك جاء توظيف الشاعر للنص الديني توظيفاً معنوياً موازياً. وفي البيت التالي يحذّر الشاعر القارئ من غواية الشيطان ويذكره بأنّ الشيطان حاضر دوماً ويدخل من كل جحر ليضل الإنسان وهنا تلميح إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم):" أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[59]" فاستلهم الصراف استلهاماً موازياً أي موافقاً الحديث الشريف في المعنى. وفي قصيدة "بلاط شاعر" يقول الشاعر نفسه مباهياً:

فإن جنّ الظلام ونمت ليلى أرحت الناس مني واسترحت

كدأب الزاهدين أنام أرضا وأطمح بالنجوم إذا طمحت[60]

إنّ ما نستشف من النص الشعري هو أنّ الصرّاف يريد أن يكون مريحاً و مستريحاً من غم الدنيا و يفرغ باله منه، فيستوحى من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «في الموت أَنَّهُ قَالَ "مُسْتَرِيحٌ وَ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ فَأَمَّا الْمُسْتَرِيحُ فَالْعَبْدُ الصَّالِحُ اسْتَرَاحَ مِنْ غَمِّ الدُّنْيَا وَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَى الرَّاحَةِ وَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَ أَمَّا الْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ فَالْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ مَلَكَاه[61]» فاستخدم معنى الحديث خدمة لنصه الشعري ويتناص مع معناه. وفي البيت الثاني عندما يقول (كدأب الزاهدين أنام أرضا) كان مستلهماً من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " قالَ: ما يُبكيكَ يَابنَ الخَطَّابِ؟ قُلتُ: يا نَبيَّ اللّهِ، وما لِيَ لا أبكي وهذا الحَصيرُ قَد أثَّرَ في جَنبِكَ وهذهِ خِزانَتُكَ لا أرى فيها إلّا ما أرى، وذاكَ قَيصرُ وكِسرى في الثِّمارِ وَالأَنهارِ، وأنتَ رَسولُ اللّهِ صلى اللّه عليه و آله وصَفوَتُهُ، وهذِهِ خِزانَتُكَ؟! فَقالَ: يَابنَ الخَطَّابِ، ألا تَرضى أن تَكونَ لَنا الآخِرَةُ ولَهُمُ الدُّنيا؟![62]" فاستلهم الشاعر في هذين البيتين من الحديثين الشريفين استلهاماً موازياً وأكد على أن من دأبه

أن يميل عن الدنيا متمسكاً بالزهد كما أشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحسن هذه الميزات الإسلامية والإنسانية. ونرى في مكان آخر أثناء قوله في قصيدة "تحقيق لمعلّقة عمروبن كلثوم":

أنا الأبخلون إذا دعونا وأنا الأشرهون إذا دعينا

وأنا الراحلون لحيث شائت لنا أعدائنا لاحيث شئنا[63]

يصف الشاعر في هذه الأبيات بعض الميزات الأخلاقيّة السيئة وهي رغبة إلى الدنيا وما فيها وربّما يستوحي الشاعر من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «الدنيا حُلوة خَضِرة وانّ الله مُستَخلفكم فيها فَيَنظُر كيف تعملون فاتقوا الدنيا...[64]» الصراف لقد أشار إلى أنّ الدنيا يغوي الناس بحلاوتها ولذّتها وليس الناس منتبهين إلى أعمالهم. فنستنتج أنه وظف معنى الحديث توظيفاً موازياً خدمة لشعره وإعطائه القداسة.

3. 3 الموضوعات الحكمية

الحقّ أنّ الشعراء الذين ينشدون الأشعار في موضوع الحكمة هم أصحاب القلوب المفكرة الحساسة، فيطرحون أسئلتهم الفلسفية والحكمية وآراءهم الأخرى خلال النصوص الشعرية. فصلاح عبد الصبور المصري من جملة هولاء الشعراء حيث يستلهم التراث النبوىّ خاصة أنّه انفتح على ثقافة واسعة وعالميّة وعلى تراث انسانيّ ضخم...وهو من هولاء القلّة القليلة من الشعراء الذين يتملكون التراث ويتمثلون تمثيلات جيّدة[65].

3. 3. 1 الغربة الواقعية

يقول صلاح عبد الصبور في قصيدة "قالت":

قالت/ لا يولد إنسانان على قدر الا التقيا/ فمتى ألقاه ؟/.../ إنّي أنظر في أحداق الناس وفي شفتيهم/ أو وجدتهموه أغراباً عن روحي وأخو الروح بعيد/ ما أقساه[66]

لعلّ أوّل ما يلاحظ على هذا النص الشعري أنّ عبدالصبور يستلهم الحديث النبوى الشريف: "الأرواح جنودٌ مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[67]." جاء في الحديث الشريف إن يتعارفوا الناس يؤانسوا معاً وإن يتناكروا كانوا مختلفين بعضهم من بعض؛ وفي هذه القصيدة يبعد الشاعر عن الرومانسيّة ويقترب من الواقعيّة ويشرح حزنه وأشار بأنّه يمكن أن يكون الإنسان غريباً بين أقربائه مستلهماً الحديث استلهاماً موافقاً.

2.3.3 الميّت المستمع

الشاعر عبدالصبور أنشد فى قصيدته "مذكرات الملك عجيب بن الخصيب":

هل ماء النهر هو النهر؟/ سقراطٌ... محقّ حين تجرّع كأس الموت وما فرّ؟/ "الميت يحسّ دعاء الأهل إذا ما أودعَ فى القبر؟[68]"

يطرح الشاعر فى هذه القصيدة أسئلةً وتأملات فلسفيّة ويتحدث عن مصير الإنسان. وهذا التساؤل - الأخير- الذي يورد الشاعر في سياق تساؤلاته المتعددة يذكرنا بالحديث النبوي: " أن رسول الله (ص) قال إنّ الميّتَ يقعُدُ و هُوَ يَسمَع خُطوةَ مُشيّعيه فلا يُكلّمُه شيءٌ إلا قبرُه...[69]" وأيضاً عن عبدالله بن عمر أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "إن الميت ليعذبُ ببكاء أهله[70]". هذه الأحاديث تدل على أن الميت يسمع أصوات الأحياء إذا أودع فى القبر كما أشار الشاعر في تناص موازٍ مع الحديث الشريف إلى هذا المعنى[71].

3.3.3 البصيرة الحقيقية

يقول الشاعر عبد الصبور في قصيدته "ذكرى الدرويش عبادة" متسائلاً عن الدرويش: **هل كان يرى ما لا نبصر/ أم يعلم ما لا نعلم/ أم كان يحسّ بأنّ خيول الزمن العاتى/ خلف خطانا تتقدم[72]**

والكلام الشعري هذا يذكرنا بحديث الرسول (صلى الله عليه وآله و سلّم) الذي يقول فيه:"إنّى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون... والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً و ما تلذذتم بالنساء على الفُرُش ولخرجتم إلى الصُعُدات تَجأَرون إلى الله لوَدِدت أنى كنتُ شجرةً تُعضَد[73]". في هذا المقطع يرى الدرويش مسقبلاً لايراه أحدٌ وكأن الشاعر لبيان هذا المعنى قام بالتناص مع الحديث الشريف عندما يحذّر نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بسبب اطلاعه الواسع على المستقبل. ومن الجدير بالذكر أن الشاعر قد استشهد بهذا الحديث في مقدمة الفصل الرابع من «حياتي في الشعر» ليدلل به على أن الانبياء والفنانين هم الذين ينبهون الامة إلى ما ينتظرها في المستقبل لهذا يكونون دائماً متشائمين يتلمسون الخطر ويحذّرون منه[74].

4.3.3 العشق القيّم

عندما نتأمل في شعر صلاح نجد أنّ المصدر الديني من أهمّ المصادر التي استلهمها الشاعر في شعره. كان للدين الإسلامى بمصدريَه الأساسيّن القرآن والسنة حضور قويّ وفعال في شعر

صلاح عبد الصبور على عدّة مستويات تبدأ من الكلمة المفردة ثمّ التراكيب والصياغة حيث حاول الشاعر أن يجعل لهذين المصدرين حضورهما الواضح منذ أوّل دواوينه وحتى آخر ما كتب[75] فصلاح عبدالصبور فى قصيدة "أغنية ولاء" من ديوان «الناس فى بلادى» يقول:

هدمتُ مابنيت/ أضعت ما اقتنيت/ خرجت لك/ ... ومثلما ولدت غير شملة الإحرام قدخرجت لك/ أسائل الرواد/ عن أرضك الغريبة الرهيبة الأسرار/..."ومن أراد أن يعيش فليمت شهيد عشق[76]"

يرى الشاعر أنّ ذات الشعر ذو قيمة ثمينة افتقد الشاعر وجوده في الحياة ويُشعره بالمسؤولية؛ لأنّ الشعر يعكس ضياءً وإشعاعاً لأصحاب القلوب الحساسة. لذلك يرى أنّ الولاء والعشق للشعر؛ فيخرج له الشاعر طالباً عطاءه بعد أن ينتزع عن نفسه كل إشارات الحياة متجرّداً[77]. يقول عشرى «وقد استغل عبدالصبور هذه القيمة فى تصوير ولائه للشعر وتجرده له وتدلل الشعر عليه مع كل هذا الولاء فبعد أن يهيئ الشاعر العاشق للمعشوق الشعر كلّ وسائل اللقاء وبعد أن يتجرّد له فيهجر في سبيله كل شيء ويتخلّى عن كل شيء ويخرج إليه متجرداً إلّا من شملة الإحرام كما يفعل الحاج إلى بيت الله الحرام باذلاً حتى حياته ذاتها فى سبيل وصله بالمعشوق مؤمناً بأنّ "من أراد أن يعيش فليمت شهيد عشق" بعد هذا كله يتدلل المعشوق فلايجيء[78] ».

فهو هنا يستلهم الحديث النبوي الشريف: "من عشق وكتم وعفّ ثم مات، مات شهيداً[79]" أي من عشق ولم يخطئ عفيفاً ومات في هذه الحالة فيُحسب شهيداً. فيوظّف الشاعر الحديث في المعنى الذي يدل على أنّ من يريد أن يعيش متقدّماً وتصل إلى هدفه فيجب أن ينتزع عن نفسه كل الأشياء كالذي أراد العيش ويجب عليه أن يدفع ثمنه ويعبر الشاعر عنه بالتعبير المستلهم (شهيد العشق). استخدم الشاعرتعبير العشق مغايراً في المعنى الذي في الحديث الشريف؛ لأنّ العشق في شعر عبدالصبور يكون ولاء للشعر كما قلنا سابقاً.

4. النتائج

انطلاقاً من النصوص الشعرية المدروسة للشعراء العرب المعاصرين يمكن الاستنتاج بأنّ الحديث النبوي أحد مكونات رئيسة لبنية نصوصهم الشعرية، والذي يريد أن يقرأ شعرهم قراءة دقيقة فلا حيلة له إلا أن يهتمّ بهذا النوع من التراث الديني الذي مال إليه هولاء الشعراء واستلهموه في المفردات والصور والمعاني مجسّدين عن طريق هذا المصدر القيّم مضامينهم

السياسية والأخلاقية والحكمية وفق رؤيتهم المعاصرة. والأحاديث الموظفة المتراوحة بين موضوع السياسة والأخلاق والحكم جاءت بهدف إضافة رؤية فكرية للموضوع الذي أراد صاحب النص إلقاءها إلى المتلقّي المثقّف ولتمكين الكلام وتقريره في الأذهان؛ مما زادت النص الشعري المستلهِم ثراءً وقوةً وعزّزت الفكرة المعنية التي طرحها صاحب النص ودعمت تجربته الشعرية.

واستئناساً بما تقدّم يمكن القول ولو أنّ الحديث النبوي سنح للشعراء العرب المعاصرين أن يستلهموه في نقل تجاربهم العديدة ولو أنه أساس متين لبعض القصائد المعاصرة، غير أنّ المتمعّن في مقطوعاتهم الشعرية لايرى شاعراً يوظف مضمون الحديث بشكل فنّي وينحو إلى المتغير؛حيث لاتمثل هذه المقطوعات المدروسة انحرافاً جذرياً بالنص القديم ليحدث بذلك مفاجأة للقاريء ولا يلاحظ أنّ التناص قد انحرف عن دلالته الأولى؛ لا لأنه ليس بمقدور هولاء الشعراء، بل لأنهم نظروا إلى الحديث النبوي بعين القداسة والاحترام وحاولوا تقديم النص الديني القديم في ثوب جديد مع تغيير وتحوير طفيف مضموناً وغرضاً، بل اتكأوا على حضوره وثباته واستعانوا به على نقل أفكارهم ورؤاهم.

هوامش البحث

[1]. زايد، 1417ق: 33

[2]. المصدر نفسه: 45

[3]. حافظ، 1966: 62

[4]. زايد،1417:77

[5]. انظر: جايز الجازي،2011: 29

[6] - التوظيف الرمزي لشخصية نبي الإسلام في الشعر العربي المعاصر (دراسة في دواوين سبعة شعراء العرب المشهورين)

[7]. حجاج النيسابوري ،1412ق: 3 / 1496

[8]. عدوان، 1992: 73 و74

[9]. انظر: سليمان، 2007: 147

[10]. فرغلي حافظ، 2015: 18

[11]. الجازي، 2011: 41

[12]. حجازي، 1993: 115

[13]. الجازي،2011: 42

[14]. قرى، 2007: 21

[15]. نهج البلاغة، 1414ق: 251

[16]. فيض كاشاني، 1406ق: 209/26 و انظر أيضاً: الجازي،2011 : 42 -41

[17]. عبدالصبور،1972: 166

[18]- صحيح بخارى،1993: 4/ 1792

[19]. انظر: سلام، د.ت :69

[20]. إبن أبي جمهور، 1405ق: 1 / 129 وانظر أيضاً: فارس سليمان، 2005 :57

[21]. مطر، 2001: 98

[22]. طبرسي، 1412ق: 67 و أيضاًحجاج النيسابوري، 1412ق: 1 / 222

[23]. البخاري 1993: 4 /39 و مطر،2001: 356

[24]. انظر: مطر،2001: 59

[25]. مطر، 2001: 347

[26]. زمخشرى،1417ق: 391/3

[27]. انظر: سليمان، 2005: 60

[28]. مطر،2001 :176

[29]. حجاج النيسابورى،1412ق: 4 / 2052

[30]. كلينى، 1407: 6/ 408

[31]. انظر: سليمان، 2005: 61

[32]. مطر،2001: 200

[33]. انظر: سليمان، 2005 : 61

[34]. محمدى رى شهرى، 1429ق: 6/ 290

[35]. مطر ،2001: 80

[36]. العبيدي، 2016: 110

[37]. مطر،2002 : 123

[38]. كلينى، 1407: 5/ 278

[39]. حاوي، د.ت: 477-478

[40]. المصدر نفسه:481

[41]. حاوى، 2001: 25 -29

[42]. قمي،1404ق: 2/ 22

[43]. العبيدى،2016: 27

[44] .http://alqasidah.com-saraf-poet

[45]. مجلسي، 1406ق: 1/ 473

[46]. العبيدى، 2016: 110

[47]. ابن حيون، 1358ق: 2/ 402

[48]. الصراف، 2000: 22

[49]. طبرسي، 1412ق: 130

[50]. الصراف، 2000: 61

[51]. ابن ماجة، د.ت: 1339

[52]. انظر: العبيدى، 2016: 112

[53]. ابن هشام، د.ت 1/ 204

[54]. مطر، 2001: 84

[55]. الصراف، 2000: 109

[56]. ابن حيون، 1358ق: 1/ 47

[57]. طوسي، 1414ق: 381

[58]. العبيدى،2016: 109

[59]. شعيرى، د.ت:180

[60] - http://alqasidah.com-saraf-poet

[61]. ابن حيون، 1385ق: 1/ 221

[62]. حجاج النيسابوري،1412ق: 2/ 1106

[63]. العبيدي، 2016: 110

[64]. حجاج النيسابوري ،1412ق: 4/ 2098

[65]. سلام، د.ت، 49

[66]. عبدالصبور، 1972:129

[67]. ابن بابويه، 1413ق: 4/ 380 و أنظر: سلام، د.ت، 69

[68]. عبدالصبور،1972: 253

[69]. ورّام بن ابى فراس،1410ق: 1/ 290

[70]. حجاج النيسابورى،1412ق: 2/ 640

[71]. انظر أيضاً سلام، د.ت، 70

[72]. عبدالصبور، 1988: 505

[73]. مجلسى، 1403ق: 56/ 199

[74]. انظر: سلام، د.ت:70

[75]. سلام، د.ت ، 66

[76]. عبدالصبور،1972: 103

[77]. انظر: عبدالصبور، 2006: 14

[78]. المغربي،1427: 91

[79]. ابن حسام الدين الهندى، 1390ق: 372/3 و أيضاً سلام، د.ت، 69

المصادر والمراجع

الكتب

- ابن أبى جمهور، محمد بن زين الدين (1414ق/ 1993). *عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية*، قم، دار سيد الشهداء للنشر.
- ابن بابويه، محمد بن علي (1413هـق / 1992). *من لايحضره الفقيه*، المحقق: على اكبر غفارى، الطبعة الثانية، قم: جامعة المدرسين للحوزة العلمية.
- ابن حسام الدين الهندي، علاء الدين عليّ المتقي (1390هـش/2011). *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، تصحيح: صفوة السقّا، بيروت: مكتبة التراث الإسلامى.
- ابن حيون، نعمان بن محمد مغربي (1385هـش/ 2006). *دعائم الإسلام*، المصحح: آصف فيضى، الطبعة الثانية، قم: مؤسسة آل البيت علهم السلام.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (د.ت). *سن ابن ماجه*، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت: دار الفكر للنشر.
- ابن هشام، ابومحمد عبدالملك المعافري (د.ت). *السيرة النبوية*، التعليق: طه عبدالرؤوف. د.ط، بيروت: دارالجيل.
- البخاري، محمد بن اسماعيل (1993م). *الصحيح*، بيروت: دارالفكر.
- حافظ، صبرى (1996م). *أفق الخطاب النقدى دراسات نظرية وقراءات تطبيقية*، القاهرة: دارشرقيات للنشر والتوزيع.
- حاوي، خليل (2001م). *ديوان خليل حاوى*، د.ط، بيروت، دارالعودة.
- حجاج النيسابوري، مسلم (1412هـق/ 1991) *صحيح مسلم*، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت، بيروت: دار إحياء العربي للنشر.
- حجازى، أحمد عبدالمعطى (1993م). *الأعمال الكاملة*، الكويت: دارسعاد الصباح.
- زايد، عشرى على (1417هـق/1996). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*، القاهرة، دار الفكر العربي.
- زمخشرى، محمود بن عمر (1417هـق/ 1996). *الفايق في غريب الحديث*، بيروت: دارالكتب العلمية.

- ✓ الزيادات، محمد تيسير (2014م)، التناص الديني في شعر محمد القيسي وخليل حاوي، مجلة القسم العربي لجامعة بنجاب، العدد الحادي والعشرون، صص 57. 84.
- ✓ سلام، عبدالسلام (د.ت).*الأصول التراثية في شعر صلاح عبدالصبور*، د.ط.
- ✓ سليمان، محمد (2007م). *ظواهر أسلوبية فى شعر ممدوح عدوان*، عمان: دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع.
- ✓ شريف الرضى، محمد بن حسين (1414ق/ 1993). نهج البلاغة، التحقيق: الصبحى صالح، قم: هجرت.
- ✓ شعيرى، محمد بن محمد (د.ت). *جامع الاخبار*، النجف الاشرف: المطبعة الحيدرية.
- ✓ الصراف، وليد عبدالقادر (2000م). *ديوان ذاكرة الملك المخلوع*، بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- ✓ القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج (1412هـق/ 1991). *صحيح مسلم*، تحقيق: عبد الباقي محمد فؤاد، القاهرة: دارالحديث.
- ✓ طبرسي، حسن بن فضل (1412هـق/ 1991). *مكارم الأخلاق*، الطبعة الرابعة، شريف مرتضى، قم: مطبعة شريف مرتضى.
- ✓ طوسي، محمد بن الحسن (1414 هـق/ 1993).*الأمالي* (للطوسي)، قم: دارالثقافة.
- ✓ عبدالصبور، صلاح (1972م). *ديوان*، بيروت: دارالعودة.
- ✓ ـــــ(1988م) *الأعمال الكاملة*، المجلد الثالث، بيروت: دارالعودة.
- ✓ ـــــ(2006م). *الأعمال الكاملة*، بيروت: دارالعودة.
- ✓ فرغلي حافظ، زينب (2015م). *التشكلات الجمالية والدلالية في الخطاب الشعري عند أحمد عبدالمعطي حجازي*، القاهرة: روية للنشر والتوزيع.
- ✓ فيض كاشاني، محمد محسن بن شاه مرتضى (1406هـق/ 1986). *الوافي*، أصفهان: مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.
- ✓ قمي، علي بن ابراهيم (1404ق/ 1984) *تفسير القمي*، المصحح: موسوى جزائرى، طيّب، الطبعة الثالثة، قم: دارالكتاب.
- ✓ كليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق (1407ق/ 1987)، *الكافي*، الطبعة الرابعة، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- ✓ مجلسي، محمدتقي بن مقصودعلي (1406ق/ 1986)، *روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه*، قم: مؤسسة كوشانبور.
- ✓ مجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (1403ق/ 1983)، *بحارالأنوار*، التصحيح: جماعة من المحققين، الطبعة الثانية، بيروت: دارالإحياء للتراث العربى.
- ✓ محمدي ريشهري، محمد (1429ق/ 2008)، *حكم النبي الأعظم*، قم: دار الحديث للنشر والتوزيع.
- ✓ مطر، أحمد (2001)، الأعمال الشعرية الكاملة، لندن: دار المفيد.

- ✓ المغربي، حافظ (1427ق / 2006)، *صلاح عبدالصبور الشاعر الناقد*، بيروت: دارالمناهل، العصرالحديث.
- ✓ ورّام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى (1410ق/ 1989) مجموعة ورّام، قم: المكتبة الفقيه.
  - **الدوريات**
- ✓ أمرايي، محمدحسن (1395ش/ 2016)، استدعاء الشخصيّات النبويّة وتطوّرها الدلاليّ في الشعر المعاصر الفلسطينيّ المقاوم المعاصر، مجلة دراسات الأدب المعاصر، العدد الواحد والثلاثون، صص 9. 35.
- ✓ خاقاني الأصفهاني، محمد ومريم جلائي "التّراث الدّيني في شعر سميح القاسم الشاعر المقاوم الفلسطيني" (1390ش/ 2011) ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 5، صص 1-26.
- ✓ رخشنده نيا، أكرم ، وكبرى روشنفكر، خليل پرويني، فردوس آقا گلزاده (1390ش/ 2011)، كاركرد نمادين شخصيت پيامبر اسلام صلى الله عليه وآله در شعر معاصر عربى، مجلة لسان مبين، العدد الثالث، صص 150-**171.**
- ✓ سيفي طيّبة، وكبرى خسروي (1392ش/ 2013)، التناص الديني في أشعار عبدالمعطي حجازي، مجلّة آفاق الحضارة لإسلاميّة، العدد التاسع، صص 97-120.
- ✓ نجفي ايوكي، علي وفاطمة يگانه (1390ش/ 2012)، أشكال التناص الدينيّ في شعر خليل حاوي، مجلّة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها، العدد الثامن، صص 139- 170.
- ✓ **الرسائل الجامعية**
- ✓ الجازي، زياد جايز (2011)، *ظواهر أسلوبية فى شعر أحمد عبدالمعطي حجازي*، جامعة مؤتة.
- ✓ قرى، عالية (2007)، *البنى الإفرادية والتركيبية وأثرها فى بناء الدلالة الكلية عند أحمدعبدالمعطى حجازى من خلال ديوانه «مدينة بلاقلب»*، جامعة الحاج لخضر، باتنه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- ✓ العبيدي، جاسم محمد أحمد (2016)، *التناص الأدبي والديني في شعر وليد الصراف*، جامعة الشرق الأوسط.
- ✓ سليمان، عبدالمنعم محمد فارس (2005)، *مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر*، جامعة النجاح الوطنية.
- ✓ **المواقع الإلكترونية**
- ✓ https://www.sasapost.co
- ✓ http://alqasidah.com>saraf-poet